

القيم المتضمنة في القصص المعرّبة الموجهة للأطفال من عمر ثلاث إلى ثماني سنوات دراسة تحليلية¹

نانسي الموسوي
أستاذة مساعدة في الجامعة اللبنانية
كلية التربية
nncy01@gmail.com

مريم رعد
أستاذة مساعدة في الجامعة اللبنانية
كلية التربية
mariamraad_1@hotmail.com

الملخص

تناولت الدراسة القصص المعرّبة الموجهة للأطفال من ثلاث إلى ثماني سنوات، من حيث هي منتج ثقافي، مستقدم من سياق مختلف عن السياق الثقافي، والاجتماعي للطفل العربي كجهة مستهدفة. تمّ تحليل مضمون النصوص لعينة من ٦٢ قصة، وتصنيف القيم الواردة فيها، وفق معيار كنعان بعد تعديله، والتأكد من صدقه ومناسبته. لم يسجل في النتائج ورود قيم مخالفة للأبعاد الثقافية، والاجتماعية للفئة المستهدفة، ما عدا بعض الإشارات التي تحمل شيئاً من الجرأة في طريقة تقديمها. أما القيم التي رُصدت فهي مرتبة تنازلياً بحسب نسب ورودها كالآتي: قيم مرتبطة بالمهارات الشخصية، قيم تتعلق بالأدوار العائلية، قيم إنسانية وروحية وأخلاقية، قيم من خلال العلاقات الاجتماعية، قيم معرفية وثقافية، قيم تروحية وجمالية، قيم تتعلق بالصحة والوقاية والرياضة، قيم عملية واقتصادية، قيم وطنية. كما خلّصت الدراسة إلى ضرورة التدقيق الثقافي والقيمي بالنصوص قبل نشرها بعيداً عن حسابات سوق الكتاب.

¹ دراسة ممولة من الجامعة اللبنانية

Résumé

La présente recherche porte sur les histoires traduites en arabe et destinées aux enfants de 3 à 8 ans en tant que support dont les dimensions culturelles et sociales sont différentes de celles de l'enfant arabe, leur public cible.

62 histoires ont été analysées et les valeurs qu'elles véhiculent ont été catégorisées en se basant sur une version adaptée de la grille de Kanaan. Les résultats n'ont pas montré une incompatibilité avec les normes du public. Quant aux valeurs dégagées, elles ont été organisées suivant leur importance : des valeurs en rapport avec les compétences personnelles, des valeurs traitant des rôles familiaux, des valeurs spirituelles, sociales, culturelles, esthétiques, des valeurs en rapport avec la santé, des valeurs économiques, etc. L'étude a conclu à la nécessité de vérifier la conformité des valeurs transmises par les histoires à leur public avant leur publication indépendamment de la politique commerciale de l'industrie de l'édition.

Abstract

This study aimed at identifying the values presented in stories translated into Arabic for children from age three to eight years old. To achieve this objective, the researchers used Kanaan Standard after adapting, and analyzed 62 stories translated into Arabic from different languages. The values revealed were presented in a descending order as follows: personal values; family values; humanitarian, spiritual and moral values; social values; knowledge and cultural values; recreational and aesthetic values; health values; prevention and sports values; practical and economical values; and patriotic values. The study tried to raise awareness of the values embedded in translated texts in order to ensure their cultural and moral scrutiny, and exclude any decisions related to translation from the book marketing account.

الكلمات المفتاحية:

أدب الأطفال، القيم، الترجمة والتعريب، مرحلة الطفولة المبكرة، تحليل المضمون.

١- المقدمة

تزايد الاهتمام العالمي بتعميق الاحتراف في الصناعات المرتبطة بأدب الأطفال في العقود الثلاثة الأخيرة، وذلك على مستوى الكتابة والرسم والإخراج، وصولاً إلى تقديم النتاج الأدبي إن بشكل مستقل أو من خلال دمجها بالكتب المدرسية. وساهمت الترجمة في نقل النتاج الأدبي إلى شرائح لم تكن مستهدفة بشكل أساسي من قبل المؤلف. وكُرست جهود بحثية لا تزال في خطها التصاعدي من أجل دراسة ترجمة كتب الأطفال، والوقوف على أهدافها وتحليل خصائصها وتأثيرها في نقل نصوص تم تأليفها في لغة محددة ومن ثم تقديمها لجمهور من الأطفال القراء بلغة أو لغات أخرى غير اللغة الأصلية التي كتبت بها.

يعتبر الأدب أحد أهم وسائل التنشئة ونقل المعرفة والثقافة إلى الأجيال وتشكيل الوجدان، "إنه مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة، وما يميزه أنه نظام غير خاضع لاعتبارات الزمن" (بريغش، ١٩٩٧). وأدب الأطفال يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطفل ووجدانه. ذلك أن إنتاج نص أدبي بلغة محددة موجهة إلى جمهور من الأطفال الناطقين بها يكون مشبعاً بالمضامين والرموز الصريحة والمضمرة، وبما تتضمنه من مثل وطموحات وتمثلات للواقع بشكل إيجابي أو سلبي، فالكتابة هي تواصلٌ يمثل توازنات ضمنية دقيقة بين طرفيه، الكاتب والقارئ. والترجمة هي نقل لمضمون أدبي محمل بكل هذه التمثلات لتأخذ العلاقة بين الكاتب والمتلقي باللغة التي ترجم إليها النص، بعداً إضافياً يستحق الدراسة والتدقيق. فلا يكتب كتاب بواسطة مؤلفه فقط، إنما يتدخل في عملية الكتابة، السياق الثقافي، الذي يمثله كلٌّ من الكاتب كمرسل، والقارئ كمتلقي. وفي حال الترجمة، نحن أمام علاقة أكثر تعقيداً، مما يضيف لهذه العلاقة، عناصر إضافية، يمكنها أن تؤثر في المعنى، الذي سيتشكل في ذهن الطفل القارئ (Hollandale, 1988).

٢- الإشكالية

يمثل أدب الأطفال أحد أهم وسائل نقل التراث الثقافي إلى الجيل الجديد في أي مجتمع، "فمعالجة أدب الأطفال في إطار الكتابة الموجهة للأطفال، كنص أدبي، يعتبر تلخيصًا لثقافة المجتمع ووسيطًا ثقافيًا واجتماعيًا وتربويًا..." (أشتي، ١٩٩٩). وهو مبني على المنظومتين: المعرفية والقيمية، اللتين تمثلان المجتمع المنتج له، إذ لا يمكن النظر إلى أي إنتاج أدبي بمعزل عن السياق الثقافي للمجتمع المنتج له، وهذا ينطبق بالضرورة على الانتاج الأدبي المخصص للأطفال. وبناء عليه فإنّ نقل النتاج الأدبي إلى لغة أو لغات أخرى ليقدم إلى قارئ ينتهي إلى سياق ثقافي مختلف، وبغض النظر عن الأهداف المقصودة من الترجمة، نشاط يستحق الدراسة والتدقيق من الناحيتين: الكمية والنوعية. وتسجل حركة الترجمة إلى اللغة العربية للنتاج الأدبي الموجه للأطفال على مختلف أنواعه: كتب المعلومات كالموسوعات، وكتب الصور للصغار جدًا، وكذلك النصوص القصصية للمراحل العمرية المختلفة. ولدى استعراض مجموعة من النصوص القصصية المعربة في السوق اللبنانية، تبين أنها معربة دون أي تعديل يذكر في بعض الأحيان، وأحيانًا أخرى معربة مع بعض التعديلات على النصّ حسبما أظهرته الأسماء، وبعض التفاصيل الواردة فيها. أما من حيث الشكل فسرعان ما يمكن الاستنتاج بأنها تستخدم بدون أي تعديل تقريبيًا. وعلى افتراض أنّ هذه النصوص تقوم بتقديم حزمة من الأفكار والقيم من خلال ما يظهر فيها من اتجاهات وقيم ونماذج سلوكية، فهي بلا شك ظاهرة تستحق البحث في محاولة لتظهير ما تحمله في طبيعتها من أصناف القيم. وهنا نسأل: هل تحمل القصص المعربة في السوق اللبنانية والموجهة للأطفال من ثلاث إلى ثماني سنوات قيمًا يمكن النظر إليها على أنّها خارج السياق الثقافي والاجتماعي للطفل المستهدف؟ وبالتالي ما هي القيم التي تطرحها هذه القصص بشكل مباشر في النصّ؟

٣- الأهمية

تظهر أهمية هذا العمل من خلال جانبين أساسيين: الأول علاقته بمرحلة الطفولة المبكرة، فقد تمّ تناول القصص المعرّبة الموجهة للأطفال من عمر ثلاث حتى ثماني سنوات، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النفس أهمية هذه المرحلة العمرية في مسار نموّ الطفل، وتشكّل شخصيته وهويته، على اعتبار أنّ السنوات الأولى من عمر الطفل تمثّل القاعدة الأساسية، للبناء النفسي والجسدي والعقلي، والأرضية لبناءات أخرى في المراحل العمرية اللاحقة. والثاني لكونه يتناول القصص، فالقصة تلعب دورًا هامًا في نقل المعارف والقيم وهي مشبعة بالمضامين المعرفية والقيمية التي يحملها كلّ من الكاتب والرّسام والنّاشر لمنتج القصص من وجهة نظره بشكل واعٍ أو غير واعٍ. فكّل قصة تمثّل مضمونًا معرفيًا قيمًا مقدّمًا للفئة العمرية الموجهة إليها. والأمر كذلك، فإنّ نشاط نقل قصص الأطفال إلى اللغة العربية يستحق وقفةً للتدقيق في القيم التي تمرّ من خلالها للطفل القارئ بالعربية. وليس المقصود هو تقييم هذه النصوص، وإنّما تظهير المنظومة القيمية التي تتضمّنها.

٤- الأسئلة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ١ - ما هي مجموعات القيم التي تظهر من خلال تحليل محتوى مجموعة من القصص المعرّبة للأطفال من الفئة العمرية من ثلاث إلى ثماني سنوات؟
- ٢ - هل تتضمن القصص المعرّبة للأطفال من ثلاث إلى ثماني سنوات قيمًا يمكن اعتبارها خارجة عن السياق الثقافي والاجتماعي للطفل اللبناني؟

٥- الأهداف

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١ - تحليل المضمون للوقوف على القيم الواردة في مجموعة من القصص المعرّبة الموجّهة للأطفال من عمر ثلاث إلى ثماني سنوات.
- ٢ - التوصل إلى تصنيف للقيم الواردة في القصص، وتتبع الأنساق القيمية التي تقدّمها.

٦- العينة

اختيرت العينة بطريقة التّحديد القصدي العمدى Purposive sampling من خلال الاطلاع على إصدارات دور النّشر التي تهتم بتعريب قصص الأطفال من عمر ثلاث إلى ثماني سنوات، وقد بلغ عددها ٢٠٩ قصة. ونظرًا لوجود مجموعات من القصص في سلاسل عدّة بطلها شخصية واحدة (كاميليا، تشوبي، كوالا، حكايا وعبر، ...) فإنّ ذلك قد جعل من غير المفيد تحليل كل قصصها. لذا تمّ اختيار عينة عشوائية ممثلة لكلّ سلسلة من السلاسل، بنسبة ٢٠% من مجموع عناوينها (واعتمد التدوير في الحالات التي كان الناتج فيها ليس رقمًا صحيحًا). أمّا الاصدارات خارج السلاسل، فقد اعتبرت جزءًا من عينة الدراسة بشكل تلقائي، والمحصّلة كانت ٦٢ قصة كعينة للدراسة. ولدى التّدقيق في العناوين من حيث اللّغة المصدر التي تمّ التعريب عنها، فقد كانت القصص موزّعة على النّحو التالي: عن اللّغة الفرنسية أربع وعشرون قصة، اللّغة الإنكليزية ست عشرة قصة، اللّغة الألمانية ثلاث قصص، اللّغة الإيطالية قصّتان، اللّغة الكورية قصّتان، الإسبانية قصّتان، التّركية قصّتان، الفارسية قصة واحدة، وعشر قصص غير محدّدة المصدر.

وحول كفيّة تصنيف قصص العينة بحسب الفئة العمريّة، فقد تمّ الارتكاز بشكل أساسي على الفئات المعتمدة من قبل دار النّشر نفسه والتي ذُكر فيها أنّها مخصّصة لهذه الفئة العمريّة (حتى المستوى الثالث في دار العلم للملايين مثلاً). أمّا في حال عدم وجود تصنيف معلن من قبل الناشر، فبناء على تقدير الباحثين لمدى قدرة الأطفال في المرحلة العمريّة المستهدفة (من ٣ الى ٨ سنوات) على قراءة النصّ وفهم معانيه، واعتمد لذلك عدّة مؤشّرات أهمّها: طول النّص، المفردات المستخدمة، التّراكيب اللّغويّة، الموضوع المعالج.

٧- الأداة

اعتمد معيار القيم التربوية للدكتور أحمد كنعان، كأداة تحليل للمحتوى لتظهر القيم التربوية المتضمنة في القصص المعزبة قيد المعالجة، ويتضمن هذا المعيار عشر مجموعات من القيم وهي: القومية والوطنية، المعرفية والثقافية، العملية والاقتصادية، الاجتماعية، الإنسانية، الروحية والأخلاقية، التربوية والجمالية، الصحية والوقائية، الرياضية، وتكامل الشخصية.

وبعد تحليل عينة عشوائية من القصص، تبينت ضرورة إجراء عدد من التعديلات على المعيار، وذلك لجهة المجموعات والقيم المتضمنة فيها، ولذلك دُمجت بعض مجموعات مع بعضها الآخر، واستحدثت مجموعات أخرى، هذا وتم إجراء بعض التعديلات على القيم التربوية المتضمنة في بعض مجموعات القيم المعتمدة.

التعديلات الأساسية التي أجريت على مجموعات القيم في معيار كنعان للقيم (كنعان،

:١٩٩٩)

- جمع القيم "الإنسانية" و"الروحية" و"الأخلاقية" مع بعضها البعض كمجموعة واحدة من القيم وإعادة ترتيب القيم المندرجة تحتها بما يتناسب مع هذا الدمج.
- جمع ما ورد تحت عنواني القيم "الصحية والوقائية" و"الرياضية" ضمن عنوان واحد هو "قيم مرتبطة بالصحة والوقاية والرياضة"، وإعادة ترتيب البنود بالشكل المناسب.
- بناء مجموعة جديدة من القيم تحت عنوان "القيم من خلال المهارات الشخصية" بحيث تضمنت ما ورد تحت مجموعة القيم الخاصة بـ "تكامل الشخصية" في معيار كنعان مع إضافة القيم المناسبة في هذا البعد.
- بناء مجموعة جديدة من القيم تحت عنوان "القيم من خلال الأدوار العائلية"، بكل ما تتضمنه من قيم ترتبط بالأم، الأب، الأخوة والعائلة كوحدة اجتماعية. ومع استحداث

هذه المجموعة من القيم، تمّ نقل ما يتّسق معها ويندرج ضمنها، من مجموعة القيم "الاجتماعية" التي قدّمها كنعان.

وللتأكد من صدق الأداة تمّ عرضها على خمسة من المحكّمين المختصين في علوم التربية لإبداء رأيهم حول مناسبة فقراتها ومدى انتماء الفقرات إلى كل بعدٍ من أبعاد المعيار، وكذلك وضوح صوغها اللغوية. وبناء عليه حذفت وعُدّلت بعض القيم، ودمج أو نقل بعضها الأخرى إلى مجالات أخرى، وفي النهاية الإبقاء على ما أجمع عليه المحكّمون بنسبة أكثر من ٨٠%.

وقد تكوّن المعيار بعد تعديله من تسع مجموعات تنضوي تحتها قيمٌ فرعيةٌ مكوّنة لها، وهي موزّعة كالآتي:

- ١ - القيم المرتبطة بالانتماء والوطن: تضم ٨ قيم فرعية.
- ٢ - القيم المعرفية والثقافية: تضم ٧ قيم فرعية.
- ٣ - القيم العملية والاقتصادية: تضم ٨ قيم فرعية.
- ٤ - القيم من خلال العلاقات الاجتماعية: تضم ٧ قيم فرعية.
- ٥ - القيم الإنسانية والروحية والأخلاقية: تضم ٨ قيم فرعية.
- ٦ - القيم الترويحوية والجمالية: تضم ٨ قيم فرعية.
- ٧ - القيم المرتبطة بالصحة والوقاية والرياضة: تضم ٦ قيم فرعية.
- ٨ - القيم من خلال المهارات الشخصية: تضم ١١ قيمة فرعية.
- ٩ - القيم من خلال الأدوار العائلية: تضم ٤ قيم فرعية.

٨- المنهج المعتمد

اعتمد المنهج الوصفي التحليلي لأجل تحليل المضمون، وتتبع القيم الواردة في القصص التي تناولتها الدراسة، وقد اعتبرت الجملة وحدة للتحليل، وأعطى لها تكراراً واحداً، وإذا ما حصل عطف لقيمة على أخرى في الجملة نفسها يكون التعاطي معها على أساس أنّها

قيمة مستقلة، إذ تُعطى تكرارًا خاصًا بها، أما عندما ترد جملة ولا يكتمل معناها إلا بأخرى، ومجموعة هذه الجمل تتضمن في طياتها قيمة، فإنها عندئذ تشكل مجموعة قيمة واحدة. كما احتُسبت الصفة التابعة للموصوف على أنها قيمة بحد ذاتها، وأُعطيت تكرارًا خاصًا بها. باختصار لقد تمّ تسجيل تكرار للقيمة في كل مرة كانت ترد بشكل صريح أو من خلال موقف أو كإشارة من خلال النص.

واستنادًا إلى التجربة الاستطلاعية لعشر قصص تمّ اختيارها بشكل عشوائيّ من القصص المعتمدة في العينة، تبيّنت الحاجة إلى إضافة مجموعة قيم إلى مجموعات المعيار المعتمد، وإضافة أو حذف لبعض القيم الفرعية في مجموعات القيم، ودائمًا بحسب ضرورات الدراسة. كما دُمجت بعض العناوين الفرعية منعًا لتشتتها، وتمّ تحليل كل عنوان من قبل الباحثين بشكل مستقل، ثم مطابقة التحليلين، وفي الحالات التي تبين فيها اختلاف، كان الإجراء يقوم على إعادة تحليل القصة من جديد.

٩- إجراءات التحليل

وقد أُتبعَت إجراءات التحليل كالاتي:

- ١ - إعداد أداة الدراسة كما ذكرنا أعلاه، التي تكوّنت في شكلها النهائي من تسع مجموعات تتضمن ٦٧ قيمة فرعية.
- ٢ - قراءة القصة أو النصّ بكامله.
- ٣ - تقسيم النصّ إلى جمل باعتبارها وحدة التحليل المعتمدة، وتحديد المدلول القيمي ومن ثمّ تصنيف القيمة المتضمّنة بحسب الجدول أو المعيار المعتمد في الدراسة (كنعان، ١٩٩٩) بعد تعديله.
- ٤ - حساب تكرارات كل مجموعة من مجموعات القيم الأساسية والفرعية المنضوية تحتها.
- ٥ - تسجيل ملاحظات إضافية حول طريقة تقديم الفكرة أو الموضوع.

- ٦ - التحقق من ثبات التّحليل عبر تحليل كل عنوان من قبل كل من الباحثين على انفراد ومن ثمّ مطابقة التّحليلين. وفي الحالات التي تبين فيها وجود اختلاف كان يُصار إلى إعادة تحليل القصة من جديد.
- ٧ - إعادة تحليل بعض العناوين بعد مرور شهر تقريباً، وكانت نسبة الاتفاق عالية جداً (أكثر من ٩٠%) والتي عدّت مقبولة لأغراض هذه الدراسة.
- ٨ - تفرغ نتائج التّحليل في جداول تكرارية واستخراج النّسب المئوية في كلّ مجموعة من مجموعات القيم التّسعة وفروعها.

١٠- الحدود

تقع الدّراسة ضمن الحدود الآتية:

- ١ - على مستوى المرحلة العمرية: القصص المعرّبة الموجهة للأطفال في المرحلة العمرية من ثلاث إلى ثماني سنوات.
- ٢ - على مستوى دور النّشر: ثلاثة عشر داراً لبنانياً أو أجنبياً متعاوناً مع دور لبنانية تقوم بنشر القصص بعد تعريبها من اللّغات الأجنبية.
- ٣ - على مستوى سنوات الإصدار: القصص المنشورة ضمن الحقبة الزمنية الممتدة بين الأعوام ٢٠١٠ و٢٠١٣ م.
- ٤ - على مستوى تحليل المضمون: الجانب القيمي.
- ٥ - على مستوى عدد القصص: عينة من اثنتين وستين قصة.

١١- المصطلحات

اعتمد في الدّراسة مجموعة من المصطلحات، نورد تعريفها كالآتي:

١ - القيم: وهي المقياس والمعيّار المرجعيّ المعلن أو المضمّر، الذي تستند إليه الحوارات والمواقف والعلاقات والأنماط السلوكية وإشارات الزمان والمكان المرتبطة بثقافة محدّدة التي تظهر في كلّ قصة.

٢ - القصص الموجّهة للفئة العمريّة من ثلاث إلى ثماني سنوات: وهي فئة عمريّة تقابل مرحلتين بحسب التّقسيم النّظري المعتمد في أدب الأطفال. الأولى، مرحلة الخيال الواقعي تتوجّه إلى الأطفال دون الخمس سنوات. والثانية، مرحلة الخيال والأسطورة من ست إلى ثماني سنوات (الحريري، ٢٠٠٩).

٣ - القصص المعرّبة: وهي القصص التي نقلت من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة، واستخدمت كلمة "تعريب" للتعبير عن النّقل إلى اللّغة العربيّة، في حين كلمة "التّرجمة" للتعبير عن النّقل بين اللّغات الأخرى.

٤ - تحليل المضمون: وهو التّحليل المعتمد كمنهج منظّم لتحليل التّواصل من خلال تتبع ورود مضامين ترتبط بقيم، ومن ثم تصنيفها في فئات (أحمد، ٢٠٠٦).

١٢- تعريب كتب الأطفال وترجمتها

لطالما كانت التّرجمة وسيلة التّبادل والتّثاقف بين شعوب العالم، إذ أنّها تساعد على تقريب المسافات بين الثقافات. وهي نشاط أساسي في عصر العولمة، سواء كنا نوّيدها أو نتحقّق عليها بهدف الدّفاع عن هويتنا وخصوصياتنا الثقافيّة. لقد اخترنا كعرب التّعريب وقطفنا ثماره عندما كانت محرّكاً لهيضة دامت قرونًا، عزّبت خلالها قصصٌ استخدمت لاحقًا كنصوص قصصيّة للأطفال "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة" وغيرها.

تستند التّرجمة إلى نصّ مكتوب بلغة محدّدة، كتبه مؤلّفٌ وفقًا لتصوّر أوليّ لإمكانات الطّفل القارئ، ويشمل هذا التصوّر: رصيد الطّفل اللّغويّ، وتجربته الحيّاتيّة، وما يملك من

معلومات، ونضجه النَّفسيّ، وقدراته العقلية، ويكون التّواصل بين المؤلّف والقارئ وفق توازن ضمني يمكن وصفه بالدقيق. ومن الصّعب المحافظة على هذا التوازن عند ترجمة النصّ واستهداف قارئ يمتلك رصيّدًا مختلفًا من القدرات والخبرات قد لا يكون مشاهيًا لرصيّد الطّفل القارئ المستهدف في الأساس. وبحسب "أوسوليفان" يلعب المترجم دور المخاطب الوسيط بين المؤلّف والقارئ من جهة، ومن جهة ثانية دور المساعد على التّلقّي. وفي كلا الحالتين فهو يحضر وبشكل ملحوظ كوسيط بين المؤلّف والقارئ (O'sullivan, 2006). وتتفاوت نسب تدخّل المترجم لتتراوح من نقل شبه حرفيّ دون أيّ تعديل للنصّ وصولًا إلى الاقتباس، الذي يمثّل أعلى نسب التدخّل من قبله. أمّا من النّاحية التّقنيّة فيمكن تصنيف النّصوص المترجمة للأطفال إلى ثلاثة أقسام:

١ - التّرجمات الحرفيّة، وهي النّصوص التي تُترجم بشكل حرفيّ وبدون أيّ تعديلات. إذ يُنقل النصّ إلى اللّغة المقصودة دون القيام بأيّ تعديل. ولدى تتبّع الدّراسات التي تناولت التّرجمات الحرفيّة للنّصوص، نجدها تتركّز على الجانب اللّغوي وتُسيّد أيّ تعديل في الصّيغة إلى الفروقات المرتبطة ببنيات اللّغات التي تمّت التّرجمة منها وإلّاها (Tsilimeni, 2011).

٢ - التّرجمة المكيفّة، أو التّرجمة الحوارية dialogical translation، وهي التّرجمة التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات القارئ في اللّغة التي تُرجم إليها النصّ، حيث يقوم المترجم بتكييف النصّ بحسب حاجات القارئ فيدخل عليه تعديلات سواء بالحذف أو الإضافة، والتي يمكن حصرها على النحو الآتي: تغيير أسماء العلم، تعديل التّهايات لتصبح أكثر قبولًا بالنّسبة للقارئ، الحذف أو التّنقيح عندما ترد عبارات أو إشارات لا تتناسب مع ثقافة المجتمع المتلقّي، التّبسيط باستخدام كلمات مألوفة، التّحديث باستبدال مضامين تنتمي إلى حقبات زمنيّة سابقة بأخرى أكثر حداثة، التّجميل بإضافة بعض الوصف والفكاهة للنصّ (Nikolajeva, 2011).

٣ - الاقتباس، تُسجّل في هذا النوع أعلى نسب التدخّل من قبل المترجم الذي يقوم فعليًا بإعادة كتابة النصّ.

لقد سجّل انقسام بين المهتمين بدراسة أدب الأطفال المترجم، بين من يؤيد التعديلات الضرورية لتقريب النصّ من ثقافة الطفل القارئ، بما يمتلك من رصيد مختلف من التجارب عن تلك التي يمتلكها الطّفل الذي وجّه إليه النصّ بصيغته الأصليّة، ومن يعتبر أنّ القيام بأيّ تعديل على النصّ لأيّ هدف سيقلّل من فرص اختبار المعنى بأبعاده الأصليّة في اللّغة المترجم إليها. وترى "ريتا أوتينين" أنّه بدلاً من تعديل النصّ الذي قد يؤدي إلى إضعافه وإفقاده لأصالته، يجب الوثوق أكثر بإمكانيات الطفل القارئ وتقديم نصّ بأقلّ تدخل ممكن، وهذا سيخدم التّواصل والتّقبّل بين الثقافات (Oittinen, 1993).

وتمّ توسيع مفهوم ترجمة كتب الأطفال ليتجاوز حدود اللّغة وابتكر تعبير " التلقي العابر للثقافات " cross- cultural reception من أجل توسيع نطاق مفهوم التّرجمة لتصبح أقرب من معنى التّبادل الثقافي، ولتأخذ بعين الاعتبار كلّ العوامل التي تؤثر في التّرجمة كوسيط بين المؤلّف والقارئ (Gopalakrishnan, 2011).

إنّ ترجمة نصّ إلى لغة أخرى لا يعني فقط توسيع جمهوره المستهدف بالترجمة، إنّما هو عملية تفاعل مع النصّ باللغة التي ترجم إليها بحيث يمكن تتبّع الأثر الذي يتركه النصّ وتفاعلاته فيها. فالترجمة قد تمنح النصّ أبعاداً إضافية غير محسوبة أو مقصودة من قبل المؤلّف نفسه. فعندما يتخذ قرار الترجمة لنصّ ما قد يستند إمّا إلى جودته أو إلى حاجات القارئ باللغة التي تتم الترجمة إليها أو ببساطة وفقاً لحسابات سوق الكتاب في البلد المنوي نشر النصّ فيه (Betolla and Rodmann, 2009).

١٣- الدراسات السابقة

لدى تتبّع الدّراسات التي تناولت القيم في قصص الأطفال نجد أنّها تتوفّر في محاور متعدّدة للبحث: منها ما تناول الموضوع من جانبه الكميّ، أو التقنيّ، أو بالتّحليل من خلال دراسة جانب قيمي واحد أو بالاستناد إلى منظومة قيمية متكاملة، لتظهير القيم الواردة فيها المعلنة أو المضمرة. فيما يلي نعرض لأبرز الدراسات المتعلقة بتحليل المضمون القيمي الوارد في قصص الأطفال.

١. دراسات دققت بالجانب الكمي للنصوص المترجمة التي يتم نقلها بين مختلف اللغات، من خلال إحصاء النصوص التي تترجم لجهة مصدرها والموضوعات التي يتم اختيارها، وتعتبر دراسة "كلنبرغ" من أقدم الدراسات في هذا المجال (Klingberg, 1978). أمّا الدراسات التي تناولت ترجمة كتب الأطفال من وجهة نظر اجتماعية كنشاط واعي ومقصود فهي حديثة نسبياً وتهدف إلى التبادل الثقافي. وقد رصدت حركة الترجمة عبر اللغات هذه بطرق تحليلية مختلفة، كدراسة "لوبيز" (Fernandez Lopez, 2006) للكتب المترجمة من اللغة الإنكليزية إلى الإسبانية، ودراسة "باسكوا" (Pascua, 2003) للكتب الصادرة في كندا باللغة الإنكليزية إلى اللغة الإسبانية، ودراسة لندغرن، وآخرين من اللغة السويدية إلى اللغة الفرنسية (Lindergren, Andersson and Renauld, 2007)، ودراسة "كوباياشي" من اللغة الإنكليزية إلى اللغة اليابانية (Kobayashi, 2005)، ودراسة "سيفرت" للكتب الكندية الإنكليزية المترجمة إلى اللغة الألمانية (Seifert, 2005). وتناولت بعض الدراسات عناوين محدّدة مثل كتاب "آليس في بلاد العجائب" الذي ترجم إلى العشرات من لغات العالم (Weaver, 1964)، كما دُرست شخصية بينوكيو كشخصية أدبية أوروبية عبرت اللغات بواسطة الترجمة (O'sullivan, E, 2006). وبحسب الباحثة "نيكولاجيفا" (Nikolojeva, 2011) فإنّ حوالي نصف عدد النصوص المترجمة إلى اللغات السويدية والدنماركية هو من اللغة الإنكليزية وبالتحديد الكتب الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية. وترى الباحثة أنّ نسبة الكتب المترجمة من لغات أجنبية إلى اللغة الإنكليزية هي أقل من ١%، فاللغة الإنكليزية تعتبر المصدر الأول لقصص الأطفال المترجمة، في مقابل حركة تكاد لا تلحظ للترجمة إلى اللغة الإنكليزية.
٢. دراسات ركّزت على الجانب التقني للترجمة لجهة التغيّرات التي تطرأ على النصّ الأساسي بشكل مقصود، أو تلك التي تنتج عن ضرورات الاختلاف الدلاليّ، والبنائيّ بين اللغات. ويصنّف هذا النوع من الدراسات ضمن الأدب المقارن. وسنكتفي بهذه الإشارة لاعتبار هذا النوع من الدراسات هو خارج سياق البحث الحالي.

٣. دراسات تتبعت المضامين التي تناولت موضوعات محدّدة في أدب الأطفال كالموت في دراسة "بولينغ وهاب" (Poling and Hupp, ٢٠٠٨)، أو الأدوار الجنسية^١ ودور أدب الأطفال في تكوين الهوية الجنسيّة لدى الطفل في دراسات "نوفيل" (Novelle, 2002) و "نوفيل وفيريز" (Ferrez, Novelle, 2003)) والتي خلصت إلى التفاوت في عرض الدور الجنسيّ من الناحيتين النوعية والكميّة لصالح الأدوار الذكورية، وما يستتبع ذلك من أثر في تقدير الأطفال لذواتهم كدراسة "أوشمن" (Ochman, 1996) الذي بيّن بأنّ تقدير الأطفال لذواتهم يتأثر بعدم التطابق بين جنسهم وجنس الشخصية الرئيسية في القصة. وتوصّلت خطار (خطار، ٢٠٠٩) إلى أنّ أدب الأطفال في لبنان لم يتطرق إلى موضوع الحب والجنسانية إلا نادراً.

٤. دراسات تناولت القصص بالتحليل من حيث القيم التربوية المتضمّنة فيها، كدراسة حسن شحاتة (شحاتة، ١٩٨٧)، ودراسة الشّماسي (الشّماسي، ١٩٩٣)، ودراسة كنعان (كنعان، ٢٠٠١)، ودراسة بركات (بركات، ٢٠١٠)، ودراسة أشتي (أشتي، ١٩٩٩)، والتي خلصت إلى أنّ جميع القصص التي عكف الباحثون على دراستها تزخر بالقيم التربوية من قيم إنسانية واجتماعية وقومية ووطنية ومعرفية وعلمية ورياضية وصحية واقتصادية وأخلاقية، وبتكرارات ونسب متفاوتة. وللإجابة عن سؤال حول أبرز مواصفات الإنتاج القصصي في لبنان، توصّلت حطيط (حطيط، ٢٠٠١) إلى سيطرة القصص الخيالية والخرافية بالدرجة الأولى، وفي المرتبة الثانية قصص الحيوان أمّا المرتبة الثالثة فالقصص الواقعية. وأشارت الباحثة إلى أنّ أحداث هذه القصص تجري في الزمان القديم وفي أمكنة مختلفة، وهي تعالج موضوعات يطغى عليها الهمّ التوجيهي والوعظي. والأبطال هم بمجملهم نماذج من الراشدين على الأطفال التشبّه بهم.

خلاصة القول، إنّ الدراسات التي تناولت النتاج الأدبي بالتحليل ركّزت على تحليل القيم الواردة فيها والأدوار التي تجسّدها، ولم يسجّل أية دراسة باللغة العربية لتتبّع حركة

^١ الأدوار الجنسية هي أوجه السلوك والمهام والمسؤوليات التي يعتبرها مجتمع ما مناسبة للذكور وللإناث.

التعريب لكتب الأطفال. لذلك كان من الضروري دراسة هذه الظاهرة نظرًا لتزايد عدد كتب الأطفال المعربة.

١٤- عرض النتائج ومناقشتها

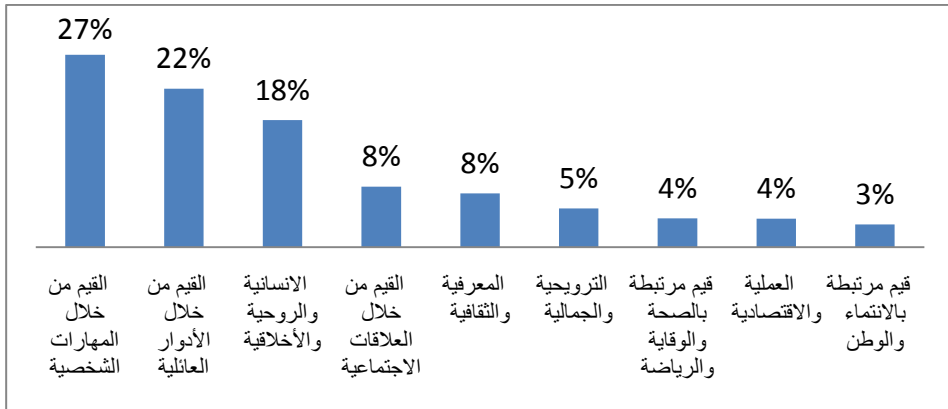
إنّ القيم التي تمّ رصدها في القصص قيد التحليل هي: القيم من خلال المهارات الشخصية، والقيم من خلال الأدوار العائلية، والقيم الإنسانية والروحية والأخلاقية، والقيم المتعلقة من خلال العلاقات الإجتماعية، والقيم المعرفية والثقافية، والقيم التربوية والجمالية، والقيم المرتبطة بالصحة والوقاية والرياضة، والقيم العملية والإقتصادية، وأخيرًا القيم المرتبطة بالانتماء والوطن. وهي ترتبط بمجموعها بتنمية الشخصية بمختلف علاقاتها: مع الذات، والآخر، والمجتمع. ولكن من الملاحظ هو عدم اعتماد التوازن في ما بينها. فعند التدقيق في الرسم البياني رقم (١) الخاص بنسب ورود القيم في القصص، يتبين أنّه سجّلت أعلى نسب للقيم المتعلقة بتنمية المهارات الشخصية ٢٧ %، تلتها القيم التي تجسّدت في العلاقات العائلية ٢٢ %، فالقيم الإنسانية والروحية والأخلاقية بنسبة ١٨ %، في حين سجّلت كل من القيم من خلال العلاقات الاجتماعية والقيم المعرفية والثقافية نسبة ٨ % لكل منها، وتلتها القيم الجمالية والتربوية ٥ %، وسجّلت كل من القيم المرتبطة بالصحة والوقاية والرياضة والقيم العملية والاقتصادية ٤ % لكل منها، والنسبة الأدنى سجّلت للقيم المرتبطة بالانتماء والوطن ٣ %، ممّا يقلّل فرص أن تكون هذه القصص المعربة وسيلة للتعرف على الثقافات الأخرى.

إنّ الوزن القيمي المتضمن في القصص قيد التحليل معطى بالدرجة الأولى لما يرتبط بالمهارات الشخصية (٢٧ %)، وهي قيم تتعلق بشكل أساسي بتنمية المهارات الفردية وزيادة القدرات التكوينية. وقد ركّزت بشكل أساسي على تقديم مهارات شخصية تساعد على تنمية الوعي الذاتي للفرد. أمّا الدرجة الثانية فكانت للقيم ذات العلاقة بالأبعاد العائلية (٢٢ %)، وقدّمت من خلالها نموذجًا من العلاقات الأسرية القائم على تقاسم الأدوار بين كل من الأمّ

والأب، بدءًا من العناية والرعاية والتعليم مرورًا بكسب العيش وفضّ النزاعات ووصولًا إلى المرح واللعب.

أما الدرجة الثالثة فقد حازت بها الأبعاد الإنسانية، الروحية والأخلاقية (١٨ %)، مركّزة على حسن المعاملة وآداب التعامل والعيش مع الآخرين.

الرسم البياني رقم (١) نسب توزّع مجموعات القيم



تلقي نتائج هذه الدراسة مع الدراسات التي تناولت القصص المكتوبة باللغة العربية للأطفال بإطارها العام المتمحور حول القيم المتضمنة فيها، ولكنها تختلف عنها بالترتيب بين فئات القيم والوزن المعطى لكل منها، ففي دراسة الشماسي (١٩٩٣) احتلت القيم القومية والوطنية وما يرتبط بها المرتبة الأولى أما في الدراسة الحالية فلم تتعد نسبة ٣%. وفي دراسة بركات مثلاً (بركات، ٢٠١٠) التي تناولت فيها بالتحليل مجموعة من القصص المحليّة، نجد أنّ قيم تكامل الشخصية جاءت في المرتبة الرابعة (١٢.٠٧%) في حين أنّها احتلت المرتبة الأولى في الدراسة الحالية (٢٧%)، وقد حازت المرتبة الأولى مجموعة القيم المعرفية والثقافية في الدراسة نفسها (٤٦.٩٨%) (كما في دراسة شحاتة ١٩٨٧) في حين بلغت نسبة هذه المجموعة في الدراسة الحالية ٨% فقط. وقد تقاربت النتائج بين مجموعات القيم

الأخرى (التربوية والجمالية، الصحية والوقائية، الاجتماعية، والروحية والأخلاقية) في الدراساتين. والجدير بالذكر أنّ قيم حسن التكيف والثقة بالنفس لم ترد في مجموعة القصص التي حلّلتها الكاتبة، ما يعكس تبايناً بين نتائج القصص العربية وتلك المعربة لجهة التركيز على قيم دون أخرى (الدراسة الحالية حسن التكيف ٢٢.٥% وبالدرجة الأولى، الثقة بالنفس ١٥.٥% المرتبة الثالثة). القصص المكتوبة بلغة أجنبية تهتم أكثر بالبعد الشخصي للطفل المتلقي بينما ما ينتج باللغة العربية يصب اهتمامه على الأبعاد المعرفية والوطنية.

والملاحظة نفسها مقارنة مع دراسة أشتي (أشتي، ١٩٩٩)، ففي تحليله للقيم الاجتماعية في أدب الأطفال، وجد تركيزاً على تشكيل الأطفال ضمن قوالب اجتماعية جاهزة مسبقاً في ذهن الكاتب وباعتماد أسلوب تلقيني مباشر، بعكس ما هو ملاحظ في النتائج المحصّلة في الدراسة الحالية.

في ما يلي نناقش النتائج التي مثلت إشارات استوقفنا كمضامين من الناحية الكميّة (النسب الأعلى)، أو النوعية لكونها تعزّز قيمًا محدّدة أو تعزلها كالقيم الخاصة بالانتماء والوطن.

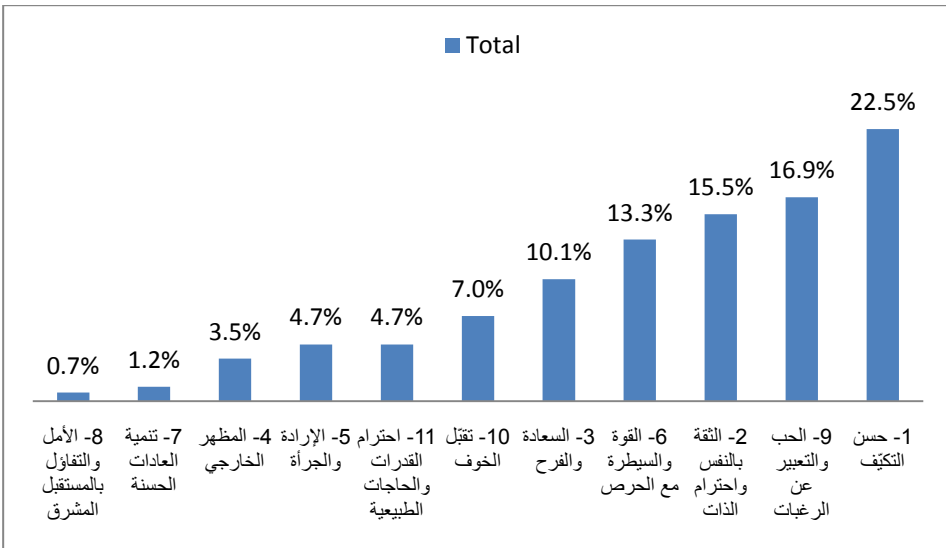
١٤.١- القيم من خلال المهارات الشخصية

يظهر من خلال الرسم البياني (رقم ٢) أدناه أنّ مجموعة القيم من خلال المهارات الشخصية قد احتلّت الدرجة الأولى في نسبة تكرار القيم في القصص موضوع الدراسة. إذ بلغت نسبة ٢٧%، ومجموعة القيم هذه تغطي الأبعاد النفسية للقصص وتمثّل نقطة قوتها في قدرتها على محاكاة مشاعر الطفل وهو جسده وأحاسيسه. فمن التكيف والشعور بالخوف أو القدرة على تخطي المشاعر والأزمات أو الثقة بالنفس والحب والتعبير عن الرغبات أو حتى الشعور بالقوة والسيطرة وغيرها من المهارات الأساسية التي تساعد على تكامل الشخصية.

وإذا ما أمعنا النظر في كيفية توزّع هذه النسبة الخاصة بالقيم من خلال المهارات الشخصية على مختلف القيم المدرجة ضمنها، لوجدنا أنّ قيمة "حسن التكيف" قد

تكرّرت بنسبة أعلى من القيم الأخرى وبلغت ٢٢.٥ %، مقابل ١٦.٩ % لقيمة "الحب والتعبير عن الرغبات"، ومن ثم قيم "الثقة بالنفس واحترام الذات" و"القوة والسيطرة مع الحرص" بنسب متقاربة ١٥.٥ % و ١٣.٣ %، وتأتي قيم "السعادة والفرح" بنسبة ١٠.١ % و"تقبّل بالخوف" بنسبة ٧ %، وتقاربت النسب التي حصلتها قيم "احترام القدرات والحاجات الطبيعية" ٤.٧ % و"الإرادة والجرأة" ٤.٧ % و"المظهر الخارجي" ٣.٥ %، في حين تدنّت القيم الخاصة بـ "تنمية العادات الحسنة" و"الأمل والتفاؤل بالمستقبل المشرق" إلى ١.٢ % و ٠.٧ %.

الرسم البياني رقم (٢) القيم من خلال المهارات الشخصية



إنّ مجموعة القصص قيد التحليل قد عملت على محاكاة حاجات الأطفال النفسية، وأولها الحاجة إلى التكيف والاندماج مع العالم الخارجي. فالأطفال يواجهون صعوبة في فهم ما يجري حولهم من أحداث وأفعال، وما يتضمّنه المحيط من مفاهيم وصور وأنماط علائقية وغيرها. وعلى اعتبار أنّ قيمة حسن التكيف تتضمن القدرة على تقبّل المشاعر وتخطّيها والسيطرة على الرغبات، فإننا نجد أنّ الطفل قد تغلّب على المخاوف القديمة التي

كان يعاني منها كالخوف من الفزاعة أو من الذئب كما في قصة "ليلى والذئب" أو حتى من الوحوش والجنيات. في المقابل فإنّ مشاعر خوف أخرى ما زالت حاضرة في نفس الطفل، إنّها المخاوف الناتجة عن النمو وخوض التجارب الجديدة، والمجهول بشكل عام، وهي تذهب أحياناً أبعد من ذلك عندما تتضمن إشارة إلى الخوف المرضي الذي قد يعاني منه البعض. ففي قصة "ليو الذي يخاف المرتفعات" نجد طائرًا يخاف من الطيران، وقد ساعدته صديقه على تجاوز مخاوفه (كذلك في قصص "الذئب الذي يخاف الذئب"، "دحروج المدرّع"، "الخروج الى العالم"، "أكل الحزن"...).

ولمّا كان الأطفال يحتاجون لتبادل الحب والتعبير عنه، فقد انعكس ذلك في النسبة المحصّلة لقيمة "الحب والتعبير عن الرغبات" (في قصص: الدجاجة جميلة واقعة في الحب، أحب الشوكولا، مثلاً...)، كما يحتاج الأطفال إلى تنمية ثقهم بذواتهم وشعورهم بالقوة والاحساس بالقدرة على السيطرة على الأشياء المحيطة بهم. وإننا نلاحظ أنّ بعض قصص العينة قد سمحت بالتعبير عن الحب والرغبات (بكثير من الجرأة)، كالحب بين الدجاجة وذكر اليمام الذي انتهى بزواجهما في قصة "الدجاجة جميلة واقعة في الحب"، ولا نقصد بالجرأة العلاقة العاطفية التي جمعت بينهما، وإنّما ما آلت إليه الأمور لإنجاح هذه العلاقة الزوجية، إذ استلزم قيام الدجاجة بإجراء بعض التعديلات على خصائصها الطبيعية بما يسمح لها بالطيران مع حبيبها وقضاء الحياة معاً. فبدل أن يتقبّل "اليمام" الخصائص الطبيعية للدجاجة ويكون عاملاً مساعداً لها على "تقبّل ذاتها" كما هي بالفعل، نجد أنّ ما حصل هو العكس تماماً، وكانت النتيجة العمل على "تغيير" هذه الخصائص التكوينية وإيجاد صورة جديدة لهذه الذات.

كما نجد تركيزاً على إثبات الذات حتى ولو استلزم الأمر تقديم مفاهيم خاطئة كما في قصة "البقرة التي باضت"، أو نسبة أفعال لأفراد حتى ولو كان الأمر منافياً لقدراتهم الطبيعية. فالبقرة التي تحاول إثبات قدراتها ساعدتها الدجاجة على ذلك من خلال الترويج لفكرة أنها "باضت". والبقرة صدّقت ذلك، وتحقّقت المقولة بالصوت الذي يصدر صوتاً يشبه حوار الأبقار.

على الرغم من أنّ نسبة تكرار هذه المفاهيم ليست كبيرة، باعتبار أنها ملحوظة في عدد محدود من القصص، إلا أنّها تستحق الوقوف عندها لما تحملها من قيم قد لا تلقى قبولاً على المستوى الثقافي والاجتماعي للبيئة المستقبلية لها، كفكرة تغيير الخصائص التكوينية (وليس تعزيزها وتطويرها)، وفكرة إثبات الذات بأي وسيلة كانت، حتى ولو كانت مخالفة للقوانين الطبيعية.

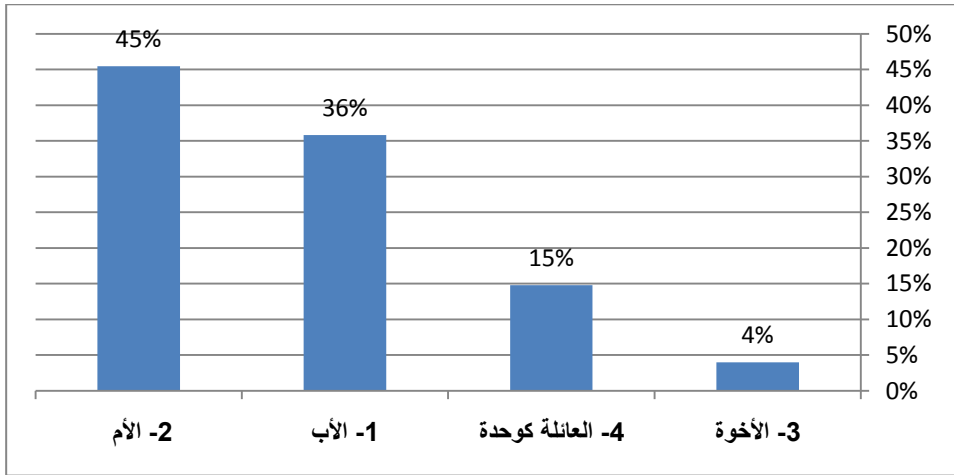
والملاحظة نفسها سجّلت بالنسبة للحب بين التمساح والأرنبة في قصة "تمذوب يحب أن يكون جميلاً"، ولكن ببعدها يمكن النظر إليه على أنّه إيجابي، ويمكن تفسيره من زاوية تقبّل الآخر، والابتعاد عن الانغلاق على الذات أو التوقّع داخل الجماعة.

أمّا في قصة "دودو الذئب الذي يخاف الذئب"، فالمستغرب هو تواجد جماعة غير طبيعية مع بعضها البعض (الذئب والراكون)، بل وأكثر من ذلك لناحية شعور الذئب نفسه بالخوف من أبناء جنسه لعدم معرفته بهم. والأمر نفسه بالنسبة للصدقة بين الكلب والقط، وبين اللقلق والثعلب، وبين التمساح والأرنب. كما نلاحظ الطريقة التي صيغت بها بعض العلاقات، إذ أنّ القطة تقوم بحراسة صغار العصافير كما في قصة "موستي"، ونشأت صداقة بين الفزاعة والعصافير في قصة "مغامرات الفزاعة طمطم". وظهر الأبطال أكثر سيطرة وثقة وتقبلاً لنقاط الضعف لديهم (قصة ثق بنفسك مثلاً)، كما أنّ العلاقة مع مصدر الخوف من الحيوانات التي كانت تمثّل الخطر بالنسبة للأبطال في قصص الأطفال التقليدية بدت ضعيفة أمام الإنسان القوي الذي لا يهابها، مثل الوحش والذئب اللذين كانا في موقع إثبات الذات (قصة "الوحوش ليس لها وجود").

١٤.٢- القيم من خلال الأدوار العائلية

أما بالنسبة للقيم من خلال الأدوار العائلية فقد بلغت كما ذكرنا سابقاً ٢٢ % من مجموع توزّع النسب على مجموعات القيم (الرسم البياني رقم ١). ولدى الوقوف عند كيفية توزّع القيم داخل هذه المجموعة كما وردت في الرسم البياني رقم (٣) أدناه، نجد أنّ القيم الخاصة بأدوار الأمّ قد حازت على النسبة الأعلى وبلغت ٤٥ % مقابل ٣٦ % للأب و ١٥ % للقيم التربوية المرتبطة بالعائلة كوحدة، و ٤ % فقط للقيم المتعلقة بالعلاقات بين الأخوة.

الرسم البياني رقم (٣)
القيم من خلال الأدوار العائلية

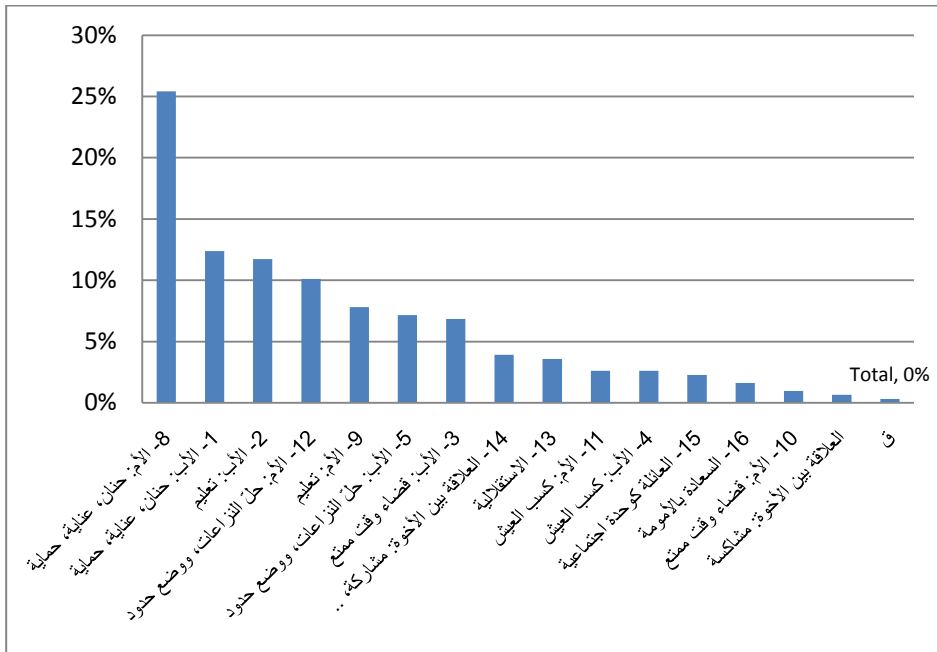


إنّ احتلال قيم الأدوار العائلية المرتبة الثانية بعد القيم "من خلال المهارات الشخصية"، إنما يعكس تركيزاً على نقل هذه القيم للأطفال الذين يقعون بحسب المراحل الخاصة بأدب الأطفال ضمن مرحلة الواقعية والخيال المحدود، وتتمحور أهداف القصص الموجّهة لهذه الشريحة العمرية على مساعدتهم على فهم المحيط بشكل أفضل، وتقبّل الأدوار الاجتماعية وتذويتها Internalization، سيما من خلال النظر إلى الأهل كنماذج أساسية للتماهي وبناء علاقات مشبعة عاطفياً معهم، وحتى الرغبة في الفطام النفسي والاستقلالية عنهم.

وإذا ما أردنا تسليط الضوء أكثر على نمط الأدوار السائدة في الأسرة لكل من الأمّ والأب والأخوة، أو لجهة طبيعة العلاقات المتبادلة بين الأهل والأولاد أو بالعكس، وبالعودة إلى الرسم البياني رقم (٤) نجد مثلاً أنّ توزيع الأدوار لدى كل من الأمّ والأب تمحور حول العناية بالأولاد وحمايتهم وتعليمهم وقضاء وقت ممتع معهم، بالإضافة إلى الأدوار الخاصة بكسب العيش والسعادة بالأمومة أو الأبوة. وإذا ما أردنا المقارنة بين انعكاس القيم الخاصة

بالأدوار العائلية بين كل من الأمّ والأب، نجد أنّ الأمهات مارسن أدوارًا خاصة بحماية الأطفال والعناية بهم وتعليمهم بنسبة ٢٥ % مقابل ١٢ % للآباء في الأدوار عيניה، والملاحظة عيניה بالنسبة لما يتعلّق بحلّ النزاعات، بحيث كانت النسبة ١٠ % للأمهات مقابل ٧ % للآباء، وكان التركيز على الاستقلالية عن الأمهات ٤ % أكثر منه عن الآباء ٠ % . أما في البعد الخاص بتعليم الأطفال فقد تقدّم الآباء على الأمهات بنسبة ١٢ % مقابل ٨ %، والأمر عيئه بالنسبة للقيم الخاصة بقضاء وقت ممتع، إذ نجد انعكاسًا لهذه القيمة لصالح الآباء ٧ % منه لصالح الأمهات ١ % . كما تساوى الطرفان في القيم الخاصة بكسب العيش بنسبة ٤ % لكل منهما.

الرسم البياني رقم (٤) القيم من خلال الأدوار العائلية بشكل تفصيلي



في الخلاصة، تركّزت أدوار الأمّ حول الحنان، العناية، الحماية، حلّ النزاعات والمساعدة على استقلالية الأبناء وفضائهم عنها، مقابل أدوار الأب التي تركّزت حول التعليم وقضاء وقت ممتع، في حين تساوى الاثنان في قيمة كسب العيش. وهذه النسب تعكس تغييرًا في النظرة إلى أدوار الأمّ، فهي لم تعد محصورة في الجانب المتعلّق بالعناية بالأطفال فقط، وإنما تعدّت ذلك لتلعب أدوارًا أساسية على مستوى حلّ النزاعات وكسب العيش. كما نلاحظ توسّعًا في أدوار الأب التي طالت الجانب الترفيهي في العلاقة مع الأطفال.

في ما يرتبط بالقيم التي تطال العائلة كوحدة اجتماعية، ما يجدر ذكره هو ظهور قيمة خاصة باحترام الأهل للأولاد، بعكس النمط السابق السائد والذي يتمحور حول واجب الأولاد في احترامهم لأهلهم. مما يعكس تغييرًا في النظرة إلى الطفل كإنسان له شخصيته وحقوقه، وواجبًا على الآخرين التعاطي معه على هذا الأساس. أما العلاقات بين الأخوة، فلم تنعكس في القيم المتضمنة للعينة قيد المعالجة، وانحصرت نسبتها بـ ٤ %، وتركّزت بشكل أساسي على قيمة المشاركة بين الأخوة أكثر منها لجهة الصراع بينهم، وكأنّ الاتجاه هو لصالح تعزيز قيم المشاركة بين الأخوة بدل تعليمهم كيفية مواجهة الصراعات التي تنشأ بينهم، والتي يُنظر إليها على أنها من لوازم النمو الطبيعي للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة. نشير إلى تقاطع هذه النتائج مع دراسة سناء شباني (شبابي، ٢٠٠٩) حول "دور الأهل والأقارب في قصص الأطفال" المحلية المنشورة في السوق اللبنانية بين الأعوام ١٩٩٩-٢٠٠٩ م. فبعد تحليل ٤٤ قصة موجّهة للأطفال من ثلاث إلى ١٢ سنة، لاحظت الباحثة أنّ نسبة تكرار وجود الأمّ هي ٣٨ %، والأب ١٨ %. والتباين الحاصل بين الدراستين يكمن في ظهور العائلة الممتدة في القصص المنتجة محليًا، حيث سجّلت نسب متفاوتة من ١٠ وحتى ٢٠ % للأخوة وللعائلة الممتدة بعناصرها كافة، بينما اقتصر في القصص المعرّبة على العائلة النووية حصريًا. ما يعكس بعدًا أيديولوجيًا في النظرة إلى العائلة وأدوارها في الثقافة الشرقية مقارنة مع الثقافة الغربية.

أمّا بالنسبة للأدوار العائلية، فالنتائج متشابهة أيضًا إلى حدّ كبير، مع وجود ترجيح لصالح أدوار غير نمطية للأمّ في القصص المعرّبة. إنّ الأمّ تظهر ودائمًا بحسب "شبابي" كربة

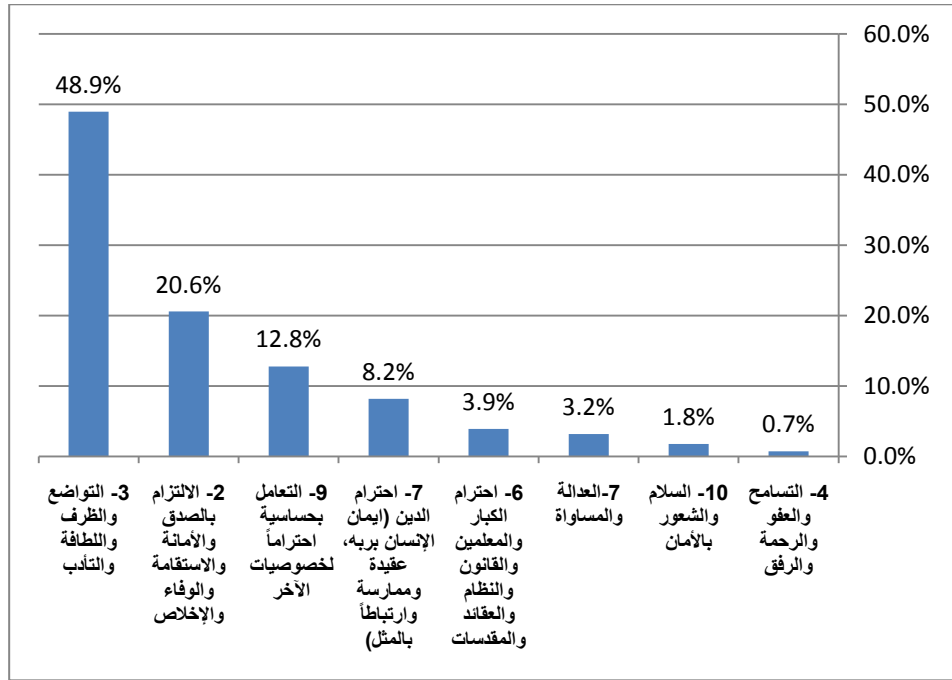
منزل بشكل أساسي، مربية تدير بقوة أمور العائلة أكثر من الرجل، ولكنها أيضًا تُعنى بمظهرها الخارجي وتشجع ابنتها لتكون أنثى مثقفة وذكية. إنها تربوية وقادرة على توجيه أبنائها نحو تحقيق أهدافهم. إنها موظفة وتساند زوجها في المواقف المختلفة، ولكنها ظهرت نمطية التفكير في بعض الأحيان من خلال تربيتها لابنتها على الاهتمام بإخوتها الذكور الذين يكبرونها. والشيء نفسه تقريبًا في دراسة حطيط (حطيط، ٢٠٠١) فالأم بشكل عام تقوم بأدوار الرعاية، العناية، الحب والإنجاب.

في المقابل، يظهر الأب فعلاً وإيجابياً بطريقة مباشرة بنسبة ٥٠ % في دراسة بشاني (بشاني، ٢٠٠٩)، أدواره التربية والتعليم، والعناية بالعائلة وإعالتها. أمّا بالمقارنة مع دراسة حطيط (حطيط، ٢٠٠١) فقد وجدت فرقاً بين أدوار الأب للصبى منه للفتاة، فهو في الحالة الأولى يرعى، يشرف، يحثّ الأبناء على إثبات ذواتهم. في حين أنّ أدوار آباء الإناث سلبية بوجه عام وتقتصر على تجسيد خلفية لزوج المستقبل. ولاحظت الباحثة في دراستها سيطرة النموذج الذكوري، وذلك بعكس طبيعة عينة القصص قيد الدراسة، إذ نلاحظ بروزاً للنموذج الأنثوي أكثر منه الذكوري.

١٤.٣- القيم الإنسانية والروحية والأخلاقية

سجّلت القيم الإنسانية والروحية والأخلاقية نسبة ١٦ % من مجموع القيم في القصص قيد التحليل، وكانت الثالثة من حيث التسلسل التنازلي لنسب القيم التي وردت في الرسم البياني رقم (١). وبما أنّ القيم التي شملتها هذه الفئة لا تختص بثقافة محدّدة، مثل التسامح، آداب الحديث، احترام الكبار وغيرها من القيم المذكورة في الرسم البياني رقم (٥).

الرسم البياني رقم (٥)
القيم الانسانية والروحية والأخلاقية



إنّ هذه الفئة من القيم تركّز بشكل أساسي على تحسين العلاقات وقبول الآخر وإظهار الاحترام، وبذلك يمكن وصفها بالقيم العابرة للمجتمعات والثقافات، لكونها قيماً مقبولة تُقدّم كإشارات أخلاقية سلوكية بقوالب قصصية. وهي بالغالب موضع إجماع وقبول بالنسبة لكل الثقافات والمجتمعات، وإن اختلفت الخلفية التي تستند إليها، فقد تُقدّم في بعد ديني أو عرقي أو حقوقي.

١٤.٢- القيم المرتبطة بالانتماء والوطن

يلاحظ تدني نسبة تسجيل القيم المرتبطة بالانتماء الوطني إلى ٣ % كما وردت في الرسم البياني رقم (١)، وهي أدنى نسبة مسجلة. فالأحداث كانت بالغالب تتم في أماكن نادرًا ما ارتبطت ببقعة جغرافية محددة أو أظهرت خصوصية ثقافية ما. ولمَّا ذكر الوطن في قصة "العودة إلى الوطن" الصادرة عن دار أكاديميا، فقد كان المقصود بالوطن هو الكرة الأرضية.

والشيء نفسه بالنسبة للزمان، مما يجعل القصص المعرّبة بعيدة عن تحقيق هدف تقديم الثقافات المختلفة للطفل القارئ باللغة العربية وقبوله لها. وحيث أنّ حدود الدراسة الحالية هي النصوص المعرّبة المنشورة باللغة العربية، فلم يتحقّق لنا ما إذا كانت أسماء المناطق أو البلدان قد أزيلت بواسطة الترجمة، أو أنّها غير واردة أصلًا في النصوص الأصلية.

خاتمة

بالعودة إلى السؤالين اللذين انطلق منهما هذا البحث، وبعد استعراض نسب القيم التي تمّ رصدها في عيّنة النصوص المختارة (٦٢ قصّة)، فقد كانت الأرجحية للقيم المرتبطة بالمهارات الشخصية التي من شأنها رفع مستوى تكيف الفرد. وهي قيم عابرة للثقافات ويمكنها اجتياز الحدود بدون حواجز، بالرغم من أنّها تعيد رسم العلاقة بين الإنسان ومحيطه الثقافي والطبيعي. هي تقترح نموذجًا علائقيًا لم نتأكد من إمكانية توافقه مع واقع الطفل ومن ثمّ الراشد الذي يعيش في مجتمع "نحن" فيه أثقل وأقوى من "الأنا المتفرد بمهاراتي وإمكاناتي". وهنا نسأل كيف سيتلقى الطفل العربي الذي يقرأ قصصًا تركّز تصريحًا أو تلميحًا على قيم مثل: الثقة بالنفس، والشعور بالقوة والسيطرة، وتحقيق الذات. فهو يعيش أبطالًا يعترفون بمخاوفهم، ويواجهون المخاطر بشجاعة، ويؤمنون بقوتهم وقدرتهم على صنع الأحداث. فهم لا يهابون الذئاب ولا الوحوش، بل على العكس الذئاب والوحوش هي التي تهابهم. وهم يتحكّمون بالأحداث بشكل كامل، فلا قوى خارجية ولا أقدار تمنع أبطال هذه القصص من تحقيق أهدافها. هذه القيم تسهم في تعميق وعي الفرد لذاته

وتدعوه للتعبير عن ذاته بحرية وجرأة. نحن ندعو إلى اعتبار هذه الدراسة منطلقاً لدراسات أخرى تدور حول كيفية تمثّل الطفل القارئ لهذه المفاهيم وغيرها مما يتعرّض له.

في النهاية إنّ صناعة الكتاب للأطفال سواء أكان كتابة أم ترجمة أم اقتباساً، هي صناعة تسهم بشكل أو بآخر في تشكيل الوعي الجمعي للمجتمع في المستقبل القريب ومن ثمّ البعيد. إنها تستحق أن يتمّ التعامل معها بأعلى مستويات الاحتراف والجديّة من أجل تقديم إنتاج أدبي للأطفال يحترم وعيهم وخصوصيتهم ومستويات النضج المتغيرة لديهم بشكل دائم. وإذا اخترنا أن نعرّب نصوصاً للأطفالنا فليكن هذا القرار انطلاقاً من رؤية واضحة، وتحقيقاً لأهداف أبعد من تلبية حاجة سوق كتاب الأطفال. ولعلّ إبعاد قرار الترجمة والتعريب عن حسابات سوق الكتاب، قد يحقّق فرقاً نوعياً في النصوص التي يتم اختيارها.

المراجع

قائمة المراجع العربية

١. كنعان، أ. (١٩٩٩). أدب الأطفال والقيم التربوية. سوريا. دمشق: دار الفكر.
٢. كنعان، أ.ع (٢٠٠١)، القيم التربوية في برامج الأطفال ودور وسائل الإعلام في تعزيزها، مجلة المعلم/ الطالب، مجلة تربوية محكمة نصف سنوية، يصدرها معهد التربية التابع للأنروا، اليونسكو، دائرة التربية والتعليم، عمان: الأردن. العدد ١، ٢ حزيران.
٣. شحاته، ح (١٩٨٧)، القيم التربوية في قصص الأطفال، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ بعنوان القيم التربوية في ثقافة الطفل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤. الحريري، ر. (٢٠٠٩). التربية وحكايات الأطفال. الأردن: دار الفكر.
٥. شباني، س. (٢٠٠٩). "دور الأهل والأقارب في قصص الأطفال". المؤتمر الدولي "قصتنا قصة! أدب الأطفال اليوم. تنظيم تجمّع الباحثات اللبنانيات في لبنان، ١٢ - ١٤ حزيران، بيروت، (أوراق المؤتمر ص ١٤٦-١٦٩).
٦. أحمد، س. (٢٠٠٦). أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية. الأردن: دار المسيرة.
٧. أشتي، ش. (١٩٩٩). القيم الاجتماعية في أدب الأطفال. لبنان: دار النضال.
٨. الشماسي، ع (١٩٩٣)، القيم التربوية في قصص الأطفال السورية، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، قطر، العدد ١٠٦.
٩. حطييط، ف. (٢٠٠١). أدب الأطفال في لبنان. بيروت: دار الفكر اللبناني.
١٠. بركات، ف. (٢٠١٠). مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سورية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الثالث، (ص ١٩٣-٢٣٤).

١١. خطار، ك. (٢٠٠٩). "الحب والجنسانية في أدب الأطفال في لبنان". المؤتمر الدولي "قصتنا قصة! أدب الأطفال اليوم". تنظيم تجمّع الباحثات اللبانيات في لبنان، ١٢-١٤ حزيران، بيروت، (أوراق المؤتمر ص ١٢-٢٣).
١٢. بريغش، م. (١٩٩٧). أدب الأطفال أهدافه وسماته. ط ٣. لبنان: مؤسسة الرسالة.

قائمة المراجع الأجنبية

1. Botelho, M. and Rudman, M. (2009). *Critical Multicultural Analysis of Children's Literature, Mirrors, Windows, and Doors*. UK: Routledge (pp.71-92)
2. Fernández López M. (2006). Translation Studies in Contemporary Children's Literature: A Comparison of International Ideological Factors. In Lathey, G(Ed). *The Translation of Children's Literature*. Clevedon, England: Multicultural Matters (pp.41-53)
3. Ferrez, E., Novelle, A. (2003), Sexisme dans la littérature enfantine, analyse des albums avec animaux anthropomorphiques, *les cahiers internationaux de Psychologie Sociale*, N57, (pp 8-23).
4. Gopalakrishnan.A.(2011), *Multicultural Children's Literature : A critical Issues Approach*. USA: Sage (p 106)
5. Hollindale, P. (1988). *Ideology and The Children's Book*. England: Thimble press. (pp.12-18)
6. Klingberg, G. (1978). *Children's Books in Translation, The Situation and Problems*. Stockholm, Sweden: Almqvist and Wiksell International (p56)
7. Koboayashi, M. (2005). *Which US Picture Books Get Translated to Japanese? Criteria for Choice*. Bookbird 43(2), (pp.5-12).
8. Lindgren, C. and Andersson, C. and Renauld, C. (2007). La Traduction des Livre Pour Enfants Suédois en Français. *La Revue de Livre Pour Enfants*: 234 (pp.87-93).

9. Nikolojeva, M. (2011). *Translation and Cross cultural Reception*. In. Wolf, S. and Coats, P. and Enciso, C. and Jenkins, A(Eds). *Handbook of Research on Children's and Young Adults Literature*. UK: Routledge. (pp.404-418)
10. Novelle, A. (2002-a), Inventaire des héros et héroïnes proposés aux enfants, *Revue Suisse des sciences de l'éducation*, 24-2, (pp.309-326).
11. Novelle, A. (2002-b), les représentations multidimensionnelles du masculin et du féminin véhiculées par la presse enfantine francophone, *Swiss journal of psychology*, 61-2, (pp.85-103).
12. Ochman, M. (1996), The Effect Of Nongender-role Stereotyped, Some Sex Role Model in Story Books on Self-esteem Of Children in Grade Three. *Sex Role*.35(pp 711-735)
13. Oittinen, R. (1993). *I am me- I am Others : On The Dialogics Of Translation For Children*. Tampere, Finland : University of Tampere (pp 70- 78)
14. O'Sullivan, E. (2006). Does Pinocchio Have an Italian Passport? What is Specifically National and What is International About the Classics of Children's Literature: In Lathey, G(Ed). *The Translation of Children's Literature*. Clevedon, England: Multicultural Matters.(pp.146-162)
15. O'Sullivan, E. (2006). The Voice of the Translation in Children's Literature. In Lathey, G(Ed). *The Translation of Children's Literature*. Clevedon, England: Multicultural Matters. (pp.98-110)
16. Pascua, I. (2003). Translation and International Education. *Meta, Journal of Translators*: 48(1-2), (pp.276-284).
17. Poling, A. and Hupp, JM. (2008). Death Sentences: A Content Analysis of Children's Death Literature. *The Journal of Genetic Psychology*: 169-2. (pp. 165-176).
18. Seifert, M. (2005). The Image of Trap: The Translation of English Canadian Children's Literature into German. In O'Sullivan, K. and Reynolds, K. and Romoren, R. (Eds) *Children's Literature Global*

- and Local and Aesthetic perspective.* Oslo, Norway: Novus. (pp.227-239)
19. Shaver, J. and Strong, W. (1982). *Facing Values Decision Rational Building for Teachers.* Columbia University :Teachers College.(p20)
 20. Tsilimeni, T. (2011).The Implied Reader of the Translation. In. Wolf, S. and Coats, K. and Encicso, P. and Jenkins, C.(Eds). *Handbook of Research on Children's and Young Adults Literature.* UK: Routledge. (pp. 419-429)
 21. Weaver, W. (1964). *Alice in Many Tongues: The Translation of Alice in the Wonderland.* Madison: University of Wisconsin press. (pp.10-27).